عاقبة الاسراف

توفي بالامس رجل انكليزي تجشَّم اسلافهُ المشاق حتى جمعوا ثروةً طائلة فورث منهم ثلاثين الف فدان ودخلاً سنويًّا لا يقلُّ عن مئة وعشرة آلاف جنيه اي اكثر من المال المقطوع لخديوي مصر ورتبةَ شرف سامية ليس فوقها الاَّ رتبة دوق. ولم يُهمِل تعليمهُ وتهذيبهُ فدرس في مدرسة من اشهر المدارس الانكليزية وزُوِّج فتاة من جلَّة القوم مشهورة بادبها وجمالها ولكنهُ لم يبلغ الثلاثين من عمرهِ حتى بدَّد ثروتهُ كلها واستدان فوقها اضعاف اضعافها ومات لا يملك شيئاً

اسم الرجل هنري مسل باجت مركيز انجلسي من نسل البارون باجب الذي نشأ في اواسط القرن السادس عشر والمركيز هنري وليم باجت الذي كان قائداً للفرسان في واقعة ووترلو الشهيرة وصار مرشالاً ثم حاكماً لارلندا

وليس من غرضنا ان نكتب تاريخ هذا الرجل بل ان نشير الى طرق الاسراف التي اتَّبعها فصارت ملكةً فيهِ بدَّد بها ثروتهُ واتلف صحتهُ وثلم صيتهُ ومات عليلاً سقيماً قبل ان يمرَّ عليهِ ثلاثون حولاً

كان غرامهُ بل جنونهُ في التمثيل واقتناء المجوهرات فبنى داراً للتمثيل في قصرهِ بانجلسي انفق عليها بدرات الاموال وجلب لها ثلاثين ممثلاً من اشهر الممثلين وقطع لهم الرواتب الطائلة ومنع لهم من الملابس الفاخرة ما يكل عن وصفهِ القلم وكان يمثّل معهم فظهر في رواية علاء الدين لابساً رداء تغطيهِ الجواهر وخوذة تتدلَّى منها سموط اللؤلؤ النظيم . وظهر في رواية اخرى والحجارة الكريمة تغطيهِ كلهُ من رأسهِ الى قدميهِ

وكان يبتاع هذه الجواهر باثمان فاحشة ثم لا يعتني بحفظها حتى ان احد خدمهِ سرق منها مرَّةً ما ثمنهُ ثلاثون الف جنيه وكان فيهِ لؤلؤة واحدة موروثة في عائلتهِ ثمنها اثنا عشر الف جنيه وهي من الفرائد النادرة المثال

لكن عاقبة الاسراف الافلاس فافلس وقبض المداينون على ما في قصرهِ وباعوهُ بالمزاد فوجدوا فيهِ من النفائس ما لا يوجد في قصور الملوك ومن التحائف ما لا يجمعهُ الاَّ مختلو الشعور وجدوا فيهِ جواهر تساوي خمسة وعشرين الف جنيه في درج غير مقفل ووجدوا آنية الذهب مبعثرة في غرفهِ كانها قطع من الخشب فالاقلام والدويات من الذهب مرصعة بالحجارة الكريمة والكوب والبرشات وعلب البودرا من الذهب ايضاً . ووجدوا عندهُ تسع مركبات من

مركبات الاتوموبيل ثمن واحدة منها ٢٥٠٠ جنيه لم يركب فيها الاَّ تسعة عشر ميلاً

اما موضع الاستغراب الاكبر فهو في ملابسهِ فانهم قسموا ثيابهُ رزماً كبيرة باعوا كل رزمة منها على حدة وكان من هذه الرزم ٦١ رزمة كلها احذية واجربة و ٢٦٠ رزمة كلها ثياب وقمصان واردية وبينها ٧٣١ ربطةً من ربطات الرقبة واكثر من مئة رداء مما يلبس في الصباح وهي من الحرير وبعضها مطرَّز تطريزاً بديعاً او مبطن بالفراء والوانها مختلفة واشكالها غريبة . و٤٨ رزمة من الصداري فيها من كل الاشكال والالوان التي يمكن ان يتصورها العقل . اما القمصان ونحوها من الثياب التحتانية فباعوا منها ٣٧٤ قميصاً من قمصان الحرير و ٢١٦ زوجاً من جوارب الحرير و ٧٤٤ منديلاً . وبين القمصان قمصان سوداء كان يلبسها تحت ثياب بيضاء ليكون على ضد ما يجري عليهِ الناس . وقُدِّر ثمن رداء من ارديتهِ بالف جنيه لانهُ من جلد القاقم الاسود . والظاهر انهُ كان يشتري هذه الثياب بكميات كبيرة ثم ينساها ويشتري غيرها وهلمَّ جرًّا

واغرب من ثيابهِ العصي التي كان ينفق عليها امواله فانها من كل شكل ونوع واكثرها مرصع بالحجارة الكريمة ومقابضها في صور حيوانات مختلفة عيونها من الجواهر ولم يترك حيواناً الاَّ وكان عندهُ عصاً مقبضها مثل رأسهِ

ودام المزاد في القصر اربعين يوماً واما التحف الغالية الثمن فنُقلت الى لندن وبيعت فيها ومع ذلك لم يستوفِ المداينون ثلاثين في المئة من ديونهم

ثروة طائلة يكفي ريعها مئة بيت لتعيش بالرخاء والرفاهة اضاعها رجل واحد في اعوام قليلة باسرافهِ وتبذيرهِ واضاع فوقها صيتهُ وصحتهُ . هذه عاقبة الاسراف

والظاهر ان اكثر ابناء الاغنياء في هذا القطر جارون هذا المجرى فيخربون البيوت التي عمرها آباؤهم ويبددون الاموال التي جمعها اسلافهم ويقضون السنين القليلة الباقية من عمرهم في الضعف والذل الى ان تدركهم الوفاة . ولعلَّ ناموس الكون يقتضي ذلك لكي تتوزع الاموال بعد تجمعها وينقطع نسل مَن لا خير منهُ . وهو ناموس صارم ولكنهُ عادل ونتيجتهُ افادة النوع بوجه عام والاَّ تجمعت الاموال عند افراد قليلين . لكن العاقل غير مكلَّف بتعريض نفسهِ وولدهِ لطائلة هذا الناموس

اما وارث مركيز انجلسي فلا يُترك فقيراً لان في اراضيهِ الموتوفة معادن غنية ينتظر ان يكون منها ريع وافر